

قمع التعصّب وأهواء أعداء التجاني بالمشرق والمغرب

تأليف الشيخ سيدي

محمد مناشو

- مكتوب على الورد من طرف الموقع الإلكتروني:
- <http://www.nafahat7.net>

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس الكتاب:

* رسالة المسلك الحنيفي في نصرّة الشيخ النظيفي

* رسالة فتح الأبصار على مواقع عثار صاحب المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

رسالة المسلك الحنفي في نصره الشيخ النظيفي

يقول مؤلف الرسالة ، وكاتب العجالة ، لقد ألقى إليّ منذ أشهر عدّة من جريدة النجاح التي تُطبع بقسنطينة به فصل عنوانه : " غيرة علماء القرويين على الدين " ، ونصه ما يأتي : " حدث عندنا بفاس أن جلالة السلطان - نصره الله - كتب إلى رئيس المجلس العلمي بالقرويين أنه ظهر تأليف في عالم المطبوعات من المُسمّى محمد النظيفي السّوسي المراكشي ذكّر فيه صاحبه المذكور : " أن صلاة الفاتح ، التي هي من أورد الطريقة التجانية ، أنها من كلام الله القديم وليست من تأليف مخلوق " ، وقال فيه : " أنها من أفضل الأذكار " ، وأمر جلاله السلطان بجمع المجلس العلمي ، وكل من ينتمي للعلم بفاس ، وأحضروا التأليف المذكور ، فوجدوا فيه ما ذكر كما ، أحضروا كتابي الياقوتة للمذكور أيضا ، فوجدوا فيه في مدح شيخه سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه ما يأتي .

وفي الجنة العليا أربعون من = مقامات أنبياء من غير ريبة

ينادي به في الحشر هذا إمامكم = وهذا مُدْكُم بأعلى المنصّة

وفضله فاعتقد على الكل أنه = كشمس الضحى وهم كواكب ليلة

فعينه عين العيني فافهم إشارة = ومن فيض سرّه الأنام استمدت

فكتب علماء فاس فتوى أجمعوا فيها على أنّ الكلام المذكور نظيره ممّا في الكتابين المذكورين ضلال مبین ، وإفكّ كبيرٌ : الله أدن لكم أم على الله تفترون(1) ، وأن هذا المتغالي زاد تحيلا على جمع العامة واقتفانهم إياه بتشكيل عطره الفائح على هيئة دلائل الخيرات ، لأغراض يعلّمها عالم الخفّيات ، وصار متهاترا متهورا من حيث لا

يشعر ، أو ما علم أن ما تفوّه به عداوة لكلام الله ، فما لقياسك أيّها المتجرّئ من نتيجة ولا اقتباس ، وما لفضيحتك العظيمة من شك ولا التباس ، وما لإشارتك التي أمرتَ بفهمها من معنى ولا إشارة ، وما لِفَحْش قولك من نظافة ولا طهارة ، إلى أن قالوا ، بعد تقرير الحكم الشرعي وجلب النصوص المؤيدة لذلك : " فَبَانَ من هاته النصوص كلّها وجوب تغليظ الزجر على الرجل ، وحسم مادة تلك الكتب المحتوية على هاته المقالات المبتدعة ، التي ما أنزل بها الله من سلطان ، بإحراقها ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله (2) " ، والفتوى مؤرخة في 29 رجب الفارط ، وأول من أمضاها شيخ الجماعة بفاس ورئيس المجلس ، الشيخ أحمد بن الخياط ، ثم قضاة فاس : الفقيه العراقي ، والفقيه اللبناني ، والفقيه العربي ، ثم بقية علماء فاس ، وهي مذيلة بأكثر من مائة إمضاء من سائر علماء فاس ، حتى من فقراء الطريقة التجانية . وقد أوتيَ بالنظيفي المذكور هاته الساعة للرباط للإستنطاق ، وإجراء اللازم في القضية ، وهذه همّة تُذَكَّر فُتُشكَّر لجلالة السلطان ، وخدمة للدين والشرع قام بها علماء فاس الخ .

وبالتأمّل فيما بين سطور هذا الفصل ارتبّت الخبرَ لظهور كون المخبر مغرضاً كما يفهم من العنوان ، ونقله شتائم الأستاذ النظيفي دون أن ينقل النصوص التي استندت إليها الفتوى ، ولهجة المكاتبة تُفيد الإطلاع عليها . وممّا أكّد ارتياب الخبر ما نسبّه للأحباب التجانيين من أهل فاس من الموافقة للقائمين الناقلين ، وحاشاهم أن يبرأوا من قول صحّ سنده لأستاذ الجميع ، وهو عقيدة كل من تمسك بورده ، والبراءة منه براءة من قائله ، ولن يغني عن منكره ظاهر الإنتساب . على أنني قد قدّرت أن لو كان للمسألة أصلٌ لكان في الإمام النظيفي كفاية للقيام بحجّته ، وفي علماء فاس - حماها الله بهم - حمأة للحق ودعوته . غير أنني كنت منتقداً فتح هذه المسألة وأشباهاها في الجرائد السيارة من الوجهتين الدينية والصحافية . أمّا الأولى فلِمَا يقتضيه الحجاج من الإستشهاد بالحديث والآيات ، وليست الصحف بمكفولة الوقاية ، بل هي في الغالب معرضة للتلاشي والإمتهان . وأمّا الوجهة الصناعية

فإنها إنما أنشئت لنقل الأخبار وإرشاد المجتمع إلى إصلاح اجتماعه من حيث الأخلاق والإقتصاد ولم تنشأ للمناقشات المذهبية ، بل ربما أضاعت الصحيفة على قرائها كثيرا مما يهّمهم في سبيل الإشتغال بمناقشة لا تهّمهم نتيجتها . لذلك كنت أربأ بمثل تلك التحريرات على الصحف ، وأنتقد من يلجئها لذلك ، اللهم إلا إذا كانت مجلة دينية فإن هيتها تدلّ على حفظ ما فيها ، وعنوانها يفيد اهتمام قرائها بذلك النوع من التحرير . ولقد رأيت بعضا من طلبة القطر الجزائري يتهافتون على الجرائد بأمثال تلك النشريات ، فهم تارة يطعنون في عقيدة تصرفهم في الكون ، وتارة يجوّزون عليهم مخالفة الشرع في أقوالهم ، ويسهّلون ذلك بأنه يقع منهم غفلة أو خطأ حيث لم يكونوا معصومين ، وكثيرا ما كنت أسمع إنكار المسألة من أصلها ، والتنديد بمن يعتقدون ، ويظنون أنهم أصابوا الحجّة ، واستقاموا على المحجّة ، وألزموا الخصوم الوجوم ، ولقد أخطأوا ، فغيرهم يرى عدم المجارة حزماً ، والإعراض عن ذوي الإعراض حتماً .

ولما شرفَ الحاضرة التونسية خليفة الطريقة التجانية بلا نزاع ، وإمام الطائفة الأحمدية في سائر البقاع ، شريف الجدّين ، وحفيد القمرين ، بدر عين ماضي وفحل تماسين ، سليل الخلفاء السادة ، وتاج أهل الفضل والمجادة ، مولانا الشيخ سيدي محمد العيد نجل الكوكب المنير ، العَلَم الشهير ، مولانا الشيخ سيدي البشير التجاني ، عليه وعلى سلفه ، وكواكب حضرته برد الرضا سابغة الذبول ، وكنت في جملة من حُظي بالمثل لديه ، والسلام عليه ، وبقيت له من جملة الرفاق ، ولازمت مجلسه بالعشيّ والإشراق ، أطلعني رضي الله عنه على مكاتيب وردت إليه من المغرب تُكذّب ما ورد في رسالة المكاتب من التهويل ، وتبيّن أن الإنتقاد قد وقع ، لكن ممن لا شأن له ، وأنهم راموا حمل الجلالة السلطانية على هواهم فعصمه الله ، واطرح أذاهم ، فركدت ریحهم ، وألقم الحجر فصيحهم . ومع ذلك فقد اقتضى نظره السعيد ، وفكره السديد أن يُسند إليّ أمر الكتابة في المسألة ، فلم يكن بُدّاً من الإمتثال ، وإن لم أكن من فرسان ذلك المجال ، خصوصا والحق أحق أن يُقال ، ونصرة الإخوان واجبة على كل حال . فوافيته بها على مقدار ما أستطيع ، فإن تكن لله رضاء ، ولمقصد الأستاذ أداء

، فذلك نِصاب السعادة والهناء ، وإلا فالخيرَ أردتُ ، والدفاع عن أهل
الله قصدت ، وهُمُ القوم لا يشقى جليسهم و لا يخيب ، وأستغفر ربِّي ثمَّ
أتوب إليه إنَّ ربِّي قريب مجيب .

(1) سورة يونس الآية 59 .

(2) سورة الانعام 93 .

بسم الله الرحمن الرحيم أبارك ابتدائي = وله الحمد و الشكر و إليه
دعائي

وعليه أعتد في تحقيق رجائي = إنه عُدّتي في شدّتي و رخائي

عليه توكلت وعليه يتوكل المؤمنون

تبارك الله وحده = نصر عبده

وأعزّ جنده = وهزم الأحزاب و حده

وسبقت كلمته أن جنده هم الغالبون (1)

أبرأ له من الشرك ورجسه = وأشهد له مخلصا بما شهد به لنفسه

وقامت له به ملائكة قدسه = وتعبّد به العالم من جنّه وإنسه

لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون (2)

وأشهد أنّ سيدنا ومولانا محمد نبّي الملاحم = المبعوث للكافة بالمكارم
والمراحم

المنير بهديه أرجاء العالم = الفاتح لما أغلق و لعقد الإرسال الخاتم

طلعة الحق بالحق والكنز المطلسم المصون

كشف به غياهب الظلمة = وأرسله للعالمين رحمه

وَأْتَمَّ بِدِينِهِ عَلَيْنَا النعمة = وآتاه الكتاب والحكمة

وخصه بمقام محمود يغبطه فيه الأولون والآخرون

اللهم كما شرحت صدره و رفعت له ذكرا = إجعل شرائف صلواتك و
نوامي بركاتك عليه تترى

وكرر بها عنا السيئات وأعظم لنا بها أجرا = وأهلنا بها لرؤية محياه
(3) الأسعد دنيا وأخرى

وحقق لنا بها أفضل ما نحن له راجون

اللهم وصل بها تحية و سلاما = تلازم روضته الطاهرة التي حسنت
مستقرا ومقاما

وتعم الآل والصحب الذين جعلتهم للمتقين إماما = والذين يببتون
لربهم سجدا وقياما

ويذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون

اللهم وارض عمّن استجابوا لربهم وللصلاة أقاموا = ولهجوا بذكر
مولاهم و بحبه هاموا

وعظموا حرّمات الله فما خرّقوا الحمى ولا حوّله حاموا = أولئك الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا

تَنزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ

حَدَا بِهِمْ إِلَى مَقْعَدِ صِدْقٍ سَائِقِ الْعَنَاءِ = وَرُفِعَتْ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ أَعْلَامُ
الْهِدَايَةِ

وَوَافَتْهُمْ الْبَشْرَىٰ مِنَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ بِالْوَلَايَةِ (4) = فَنِعْمَ جِهَادُهُمْ وَحَبْدًا
الْغَايَةَ

وَلِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ

سَكَنُوا لِلْفِكْرِ = وَتَحَرَّكُوا لِلذِّكْرِ

وَأَفْضُوا مِنْ مَضِيقِ الصَّبْرِ إِلَىٰ فُسَيْحِ الشُّكْرِ = فَأَخْرَجُوا مِنْ عُمُومٍ "
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خَسْرٍ "

وَأَدْخَلُوا فِي خُصُوصٍ " فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ "

نَصَّرَ وَجُوهَهُمْ مَوْلَاهُمْ = وَتَوَلَّاهُمْ وَشَكَرَ مَسْعَاهُمْ

وَزَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ = وَأُورِثَهُمْ مِنْ مَقَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ مَا يَنْسَبُ
عَلَاهُمْ (5)

وَجَعَلَ الْمَجْرِمِينَ أَعْدَاءَ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (6)

كَذَلِكَ مَضَىٰ مِثْلُ الْأَوَّلِينَ = فَابْتَلَىٰ آدَمَ بِاللَّعِينِ (7)

وَصَالِحًا بِالرَّهْطِ الْمَفْسُودِينَ (8) = وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِخْوَانِهِ
وَسَلَّمَ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ (9)

وَمُوسَىٰ بِفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ

(1) تلميح لقوله تعالى : ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون سورة الصافات ، الآيات 171 ، 172 ، 173 .

(2) الإشارة إلى قوله تعالى : شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم سورة آل عمران ، الآية 18 .

(3) رؤيته صلى الله عليه وسلم في الدنيا يقظة جائزة عقلا لأنه لا يترتب على وقوعها مستحيل . ويدلّ ظاهر النقل على وقوعها بحجة حديث الصحيحين : « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي » ، وصرف الحديث عن ظاهره ، أو تخصيص عمومه مع كونه يتوقف على سند يخرج عن الإفادة إذ حمل الرؤية على يوم القيامة لا يجعل معنى لقوله : " من رآني في المنام ... " ، لأنّ هناك يراه كل أهل الموقف ، ويطلبون منه الشفاعة . و تخصيصه بوقت حياته لا يجعل معنى أيضا للشرط لأنهم يمكنهم رؤيته ولو لم يروه في المنام . وقال ابن أبي جمرة معلقا على هذا الحديث : " وهل هذا على عمومه في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، أم في حياته فقط ؟ وهل ذلك لكلّ مَنْ رآه مطلقا ، أو خاص بمنّ فيه الأهلية واتباع السنة ... ؟ اللفظ يعطي العموم ، ومدّعي الخصوص بغير مخصص منه صلى الله عليه وسلم متعسف " . اهـ . وهل الرؤية بعين الرأس أم بعين القلب ؟ قولان حكاهما القاضي أبو بكر بن العربي . وقد أخبر كثير من الشيوخ بوقوعها لهم ، كالشيخ الجيلي ، والمرسي ، والشيخ الأكبر ، ومن لا يحصون ، والخبر إذا كان جائزا عقلا ، مؤيدا بظاهر النقل ، وأخبر بوقوعه عدول كمنّ ذكرنا ، فلا يمتري في تصديقه إلا حاسد أو مستعجز للقدرة الإلهية . وصحة رؤيته يقظة هو مبنى طريقتنا الأحمدية .

(4) الإشارة لقوله تعالى : نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة سورة فصلت ، الآية 31 ، وهو تمهيد لما سيأتي في صلب الرسالة من تنزل الملائكة على غير الأنبياء ، وبقاء وحي الإلهام بعد انقطاع وحي التشريع .

(5) تلك طلائع الرد عن استنكر نيل شيخنا رضي الله عنه أربعين من مقامات الأنبياء وسيأتي في صلب الرسالة شيء من رد ذلك الإستنكار . وليت شعري ماذا يقول هذا المنكر إذا قال له مسلم من عوام المسلمين : خاطبني الله بمثل خطاب الرسل ، فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ، وقال : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، فيقول آخر : إن الله آتاني ما لم يوت موسى وهارون . أحلّ لي الغنائم ولم تحل لهما ، هل يكذبه في ذلك فتقطعه قواطع الشرع ؟ أم يظنّ أنّ في ذلك غصًا من مقام النبوة ، أم ارتقاء العوام إليها ؟ وكل ذلك غير لازم إلا عند ضعف العقول .

(6) الإبتلاء ابتداء و الظفر في العقبي من أعلام النبوة كما يشهد له حديث هرقل في البخاري " وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة " . وهذا من مقامات الأنبياء ورثه الصالحون .

(7) هو إبليس .

(8) الإشارة لقوله تعالى : وكان في المدينة تسعة رهط ، الآيتين .

(9) أشدهم أذية له صلى الله عليه وسلم خمسة ، دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى : إنا كفيناك المستهزئين ، وهم الأسودان ، ابن المطلب وابن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحرث بن الطلائفة الخزاعي . وفيهم يقول البويصري رحمه الله :

خمسة طهرت بقطعهم الأرز = ض فكف الأذى بهم شلاء

وابتلى بأهل الرّفص الشيخين (1) = وبجيش ذي خشب (2) ذا النورين

وبالحرورية (3) أبا السبطين = وأولغ الكلب الأبقع (4) في دم الحسين

وسلَطَ الحَجَّاجَ على العائِذِ (5) والحرم المأمون

وامتَحَنَ الخَلِيلَ بالنمرود = والمسيحَ باليهود

والمؤمنين بأصحاب الأخدود = وابنَ حنبلَ بابن أبي داود (6)

والصوفية بكل مبتدع مفتون

زعموا أنَّ التصوِّفَ (7) أجنبي عن الدين وهو لُبَّابُهُ = وظنُّوا جهلَ القوم به وهم أقطابه

وأنكروا مشربهم وهو عذبُ فراتٍ سائغٌ شرابُهُ = ورَمَوْهُمُ بالإبتداع وهم المستمسكون بما كان عليه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأصحابه

واعْتَدُّوا بما عندهم مِنَ العلمِ فَحَسِبُوا ضلالاً ما لا يعلمون

أقوامَ عِلْمُهُم رَجْمٌ = ويقينهم وهم

ودليلهم سوء الفهم = يَرْمُونُ معصومَ الأعراض من سموم الأعراض بأنفذ سهم

يجادلون في زعمهم بالكتاب وهم عن آياته معرضون

رموا أهل الله بكلِّ ذميمة = وزعموا أنَّ الإعراض عن الدنيا جريمة

وأن عقيدة الولاية والكرامة عقيدة سقيمة = وأنَّ الإرشاد والتربية والمجاهدة والسلوك أشكال عقيدة

كلَّ سيعلمون ثمَّ كلَّ سيعلمون

إتخذوا تقهقر الإسلام ذريعة لهذا التناد = وزعموا أنَّ أصله شيوع ذلك الإعتقاد

وأنَّ الله يُصَرِّفُ فيما يشاء مِنْ مَلِكِهِ مَنْ شَاءَ مِنَ العباد = وصادفت نعماتهم تأثير على أهل الإلحاد

فردّوها ابتغاء الفتنة وأجمعوا أمرهم وهم يمكرون

يغالطون إذا أرادوا لدعوى التصريف منعا = بإيهام معارضة " قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا "

ويتوهمون أننا لا نستطيع لها مع التوحيد جمعا = لقد كانت أعينهم في غطاء وكانوا لا يستطيعون سمعا

كم بين دعوى المُلْكِ وعقيدة التَّمْلِيكِ مِنْ بَوْنٍ

ألم يُصِرّفِ اللهُ موسى في البحر فانفلق كالأطواد = ألم يسخر الريح لسليمان تجري بأمره رخاء حيث أَرَادَ

ألم يُؤتَى بالعرش قبل ردّ الطرف من أقصى البلاد = ألم يكن في قوله " فالمدبرات أمرا " نسبة التدبير للعباد

ألم يقل " قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون " فإن أنكروا أصل التصريف كذبوا الآيات = وإن زعموا التخصيص بالأنبياء (8) فما لهم من بيّنات

وإن عارضوا بعقيدة التوحيد استهوتهم الشبهات = فكما خلق الله الشمس لفيض النور خلق خلقا آخر لفيض الإمدادات

أولئك الذين أحبهم ربهم فيه يسمعون ويبصرون ويبطشون (9)

وما ظنك بمن صدق مولاه في الحُبِّ = ونزل منه منازل القرب بالقرب هل تحول دون تصرفه في شيء حُجِبَ = إذا كان مظهرا لتصريف الرب

وربّك يقول للشّيء كُنْ فيكون

لقد جرّدوا على أهل الحق سيف الإعتراض كليلًا = وحسبوا الغرور نصحا والشبهة دليلا

وأهمّتهم العاجلة فتركوا وراءهم يوماً ثقيلاً = واستحوذ عليهم
الشیطان فلا یذكرون الله إلا قليلاً

فستبصر و یبصرون بأيكم المفتون

شاحنوهم في أسماء (10) الأقطاب والأبدال والأوتاد = وقالوا ما
وجدناها في آية ولا حديث صحيح الإسناد

أفهل وجدوا نصاً في ترتيب مراتب الإجتهد = أم یحكمون على
اصطلاح الأصوليين أيضاً بالفساد

أم لهم فرق حسب الهوى فهم یتحكمون

لا یفزعون لتعطيل الحدود وإهمال الفروض = وتخلل كبائر المحرمات
في المعاملات والقروض

ویقولون عاقتنا عقيدة الولاية عن النهوض = فهم كالعراقي المتحرّج
من دم البعوض (11)

یتبرمون بالزوايا و بمراسح القصف و المیسر لا یتبرمون

قل إن كان لا خوف من تعطيل الحدود وشيوع القبائح = وفراغ المعابد
وعمران المراسح

وإنما الخوف من مجالس الذکر والنصائح = والإلتفاف حول كل عبد
صالح

فاعملوا على مكانتكم إننا عاملون

وإن دعاكم إلى إنكار الطريق ما ترون عليه بعض الأتباع = فما ذلك
بحجة تأتيكم بالإقناع

إذ ليس من الطب قتل المريض لإراحته من الأوجاع = وهل تنكرون
الإسلام لما عليه أهله من الإبتداع

إن كنتم لا تُسلمون الطعن في الدين بمثل ذلك فإننا مثلكم في مسألتنا
مانعون

ومن دون أولاء فريق زعموا أنهم أحاطوا بالشرعية خيرا = وأنهم
يسلمون الولاية وإنما ينكرون من جاء نكرا

ضيقة حواصلهم لا يستطيعون للتفهم صبرا = وقد ينكر الصبي أن
وراء اللعيب لذة أخرى

كما ينكر هؤلاء أفهاما ومراتب فوق ما يعلمون

أولئك الذين أوتوا نصيبا من الكتاب = تقاذفتم الشبه وتقطعت بهم
الأسباب

وافتننوا بالقشور فأضاعوا اللباب = وظنوا بأنفسهم الغنى وما ملكوا
النصاب

ولئن سألتهم ليقولون إنما نحن مصلحون

أشربوا في قلوبهم حب الزعامة = فارتقوا منابر الإرشاد على غير
استقامه

وتقدموا دون تطهر للإمامه = يحبون أن يطاعوا كلا ولا كرامة

متى كان الأعشى يقود قوما يبصرون

سراعا إلى التكفير دون أن يبينوا لماذا = ولئن بينوا لا يجاوزون ما
سمعنا بهذا

يحكمون على الكتب بحكم قوم إبراهيم (12) لو ملكوا نفاذا = كأن لهم
على أبواب رحمة ربك استحوادا

ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون

تسمع جمععتهم بإرجاع الإسلام إلى جدته = وتبجحهم بإعادة حدّ الحق إلى حدّته

يتنادون لإحياء سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته = ومحاربة البدع المشوهة للدين وسمعته

وتلك كلمات حق يلوكها المبطلون

أولعوا بالمهتدين فكادوهم بالإفتراء = وإذا قطعهم البرهان تعلقوا بخيوط المراء

يفهمون سقيما فيجرحون سليما وهو من جرحهم براء = كذلك تحكك بالإمام الشاذلي ابن براء (13)

وقامت اليوم غوغاء على الأستاذ النظيفي (14) يعترضون

أخذوه بما ظنوه لازما لقوله و تركوا صريحه (15) = وتعاطوا وما كانوا مهتدين تجريحه

وطلبوا تعزيره وكلّ قد علم صلاته وتسبيحه = وحسبوا أنّ الدين بيت يملكون مفاتيحه

فهم حسب الهوى يدخلون من شاءوا ويخرجون

قد نقل في صلاة الفاتح وهو في نقله عدل = أنّ اعتقاد كونها من الكلام القديم شرط لتحصيل الفضل

وأنّ الإمام التجاني ينال أربعين من مقامات الأنبياء ويؤوه به يوم الفصل = أفتمارونه في صحة الأصل أم في تصحيح النقل

نبتوني بعلم أيها العادلون

إنّ كان النقل عندكم محلّ ارتياب = فقد صحّ سند هذا القول إلى خاتم الأقطاب

وتلقته بالقبول كافة الأصحاب = وانتشر عنهم بالطبع في غير ما كتاب
(16)

فليس للأستاذ فيه سوى التصديق والنقل المأمون

وإن جادتم في الأصل ضللتكم سبيلا = ولن تجدوا سندا للمنع ولو كان
بعضكم لبعض دليلا

والحق فوقكم في يمين الشيخ جملة وتفصيلا = فلن تستطيعوا إليه
صعودا ولا ينحط إليكم نزولا

والحكم بيننا كتاب الله وما قال المفسرون

1. هم فرقة من الشيعة خرجوا مع زيد بن علي رضي الله عنه ، لكنهم بعد أن وثق بنصرهم اشترطوا عليه البراءة من الشيخين سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما ، فأبى وقال : " لا أتبرأ منهما بل أتولاهما " ، فقالوا : " إذن نرفضك " ، فقال : " إذهبوا فأنتم الرافضة " . وهم يبغضون الشيخين رضي الله عنهما بَعْضَ الْجَعْلِ للورد .

2. ذو خشب موضع بأحواز المدينة المنورة ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وبهذا الموضع نزل الجيش الذي حاصر عثمان رضي الله عنه ، واستشهد على يد أشقيائه . وقد قال رضي الله عنه أيام حصاره : " لقد عَلِمَ الصالحون مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جَيْشَ ذِي خَشْبٍ مَلْعُونٌ " .

3. هم الخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي رضي الله عنه بقرية من قرى الكوفة تدعى حروراء إليها نُسبوا ، ومنهم أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم - أَلْجَمَةُ اللَّهِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ - الذي تولى قتل علي غدرًا .

4. هو شمّر بن ذي الجوشن الذي تولى قتل ريحانة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكان اللّعين أبرصا ، فكان بفعلته تأويلا لرؤيا رآها النبي صلى الله عليه وسلم كأنّ كلبا أبقع وكع في دمه الشريف .

5. هو سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، أوّل مولود بعد الهجرة . قتله الحجاج بمكة ، وخرّب الكعبة .

6. هو قاضي المعتصم والواثق ، الداعي إلى القول بخلق القرءان . ولما لم يوافقّه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه على ذلك أغرى به المعتصم ، فضرب رضي الله عنه بالسياط حتى عُشيّ عليه وسُجن . وثبت على الحق ، ونصر الله بثباته السنّة وأهلها ، ورجع الواثق عن تلك المقالة ، وأفرج عنه .

7. التصوف لقب اشتهر به علم الأخلاق وتزكية النفس ، وترويضها بالمجاهدة والعبادة . ونسبته من الفقه نسبة علم البلاغة للنحو ، أو علم التفسير من علم القراءات ، أو نسبة الروح من الجسد . فالفقه باحث عن صور العبادة الظاهرية ، وثمرته في الظاهر سقوط الطلب أو بقاءه ، وجريان أحكام التعديل والتجريح ، والتصوف باحث عن روح تلك العبادات بما تكون به أرجى للقبول . وحيث كان الفقيه يبحث عن الصورة الظاهرية تُسبب إليها ، فقليل إنه من أهل الظاهر . وحيث كان الصوفي يبحث عن روحها ، وهي باطنة ، تُسبب إليها ، فقليل إنه من أهل الباطن . وليس المعنى أنّ هناك شريعة ظاهرية وأخرى باطنة كما يظنه ضعاف العقول ، بل الشريعة واحدة والبحث مختلف ، فالفقيه يبحث عن الصلاة من حيث الأجزاء في سقوط الطلب ، وعصمة الدم ، ونحو ذلك ، والصوفي يبحث عن الروح التي بها تصير ناهية عن الفحشاء والمنكر . فمن اتّصف عرف لزوم كل منهما للآخر ، ومن جهل أمرهم عاداهم فأضرّ بنفسه ، ولم يدرك أذاهم . وطريقهم معروف منذ النبوة ، وإنما امتاز بالإسم يوم تميزت العلوم التي كانت رتقا ، كالفقه والحديث .

8. يرد دعوى التخصيص بالأنبياء ما سبق من تصرف الذي عنده علم من الكتاب وإتيانه بالعرش .

9. الإشارة إلى الحديث القدسي الذي جاء فيه : « ولا يزال يتقرب إليّ عبدي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ».

10. الإستدلال مبني على تسليم عدم وجود هذه المراتب في لسان الشرع ، وهي ألقاب لرتب ينالها المرء بفضل الله ، وسبيلها المجاهدة ، كما أنّ مراتب الإجتهد ألقاب لما يناله المرء بفضل الله ، وسبيله التفقه في الكتاب والسنة ، وطرق الإستدلال ، وهو اصطلاح لا مشاحة فيه . ولنا أن نمنع نفهم بأحاديث وردت في الشفاء وغيره ، وردّ فيها تسمية النقباء والأبدال والنجباء والأتاد . وللجلال السيوطي رسالة حافلة سمّاها " الخبر الدال على وجود القطب والأبدال " جمع فيها الأحاديث الدالة على ذلك .

11. الإشارة إلى ما وردَ في صحيح البخاري أنّ رجلاً جاء يسأل ابن عمر رضي الله عنه عن الصلاة وفي ثوبه دم بعوض ، فسأله ابن عمر من أين هو ، فقال من العراق ، فقال لجلسائه : " انظروا هذا الذي يسأل عن دم البعوض وبالأمس قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم " . اهـ . والقصد التنظير بالمتحرج من اليسر المتهاون بالخطير .

12. المراد الحكم بالتحريق ، ولا أدري مستندهم في ذلك ، فإنه لم يكن في الصدر الأول حكم على الكتب بالتحريق سوى ما أمرهم به عثمان رضي الله عنه بعد كتابة المصاحف من تحريق ما سواها ، وذلك خاص بالقرءان سداً لذريعة الاختلاف فيه . و لقد ترجمت كتب الفلاسفة في عصر الأئمة المجتهدين ، وهي مخلوطة بكفريات صريحة ، فما حكموا بتحريقها ، بل قال بعضهم بوجوب النظر فيها ، واشترط آخرون على الناظر فيها حدة الذهن ، والمعرفة بالكتاب و السنة . و ليس التحريق وسيلة لإعدام الضلالة وإنما يبطل الضلال صحيح الإستدلال . وليت هؤلاء بادروا بهذا الحكم و تنفيذه على كتب الأحاديث الموضوعية ، و كتب القصص المصادمة لنصوص الدين ويتلقفها العامة ، ولكن إذا كان الحاكم الهوى لم يجر على السواء .

13. الإشارة إلى أبي القاسم بن براء الذي كان قاضيا بتونس على عهد أبي زكريا الحفصي وابنه المستنصر ، وأولع بالتشنيع على الإمام الأشهر ، والقطب الأكبر ، مولانا الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه حسدا وبغيا عليه ، و تعززا بمنصبه ، حتى التمس الإمام الشاذلي الراحة منه بالرحيل إلى مصر ، فلاحقه بالكيد ، وكاتبَ في شأنه أهل مصر بالتحذير والإغراء ، ولكن عكسَ الله عليه مراده ، وظهرَ فضل الإمام الشاذلي هناك ، فعرفوا مقامه ، وبالغوا وما بلغوا حقه في الكرامة ، وصار العز بن عبد السلام الذي بلغ درجة الإجتهد المطلق يأتي مجلسه مستفيدا ، ويقول لتلاميذه هلمَّ إلى كلامٍ قريب العهد من الحضرة القدسية ، وذلك شأن أهل الله يبتليهم بالكائدين ثم يجعل العاقبة للمتقين . وأما ابن براء فقد طمس الله كل آثاره ، ولم يبق له ذكر إلا بصفة كونه خصما مغلوبا للإمام الشاذلي .

14. هو الأستاذ القدوة ، الخلاصة الصفوة ، علامة المعقول والمنقول ، وفارس البيان والتحرير ، الشيخ محمد بن عبد الواحد النظيفي ، إمام الحضرة التجانية ، والطائفة الأحمدية بعاصمة مراکش ، أبقاه الله نجما للمهتدين ، وشهابا ثاقبا للمعتدين . وتأليفه في الطريقة الأحمدية سارت مسير الأنوار ، وسحبت على غيرها ذيلها المعطار .

15. المراد بما ظنوه لازما لقوله ما بنوا عليه قيامهم من أن نيل الشيخ أربعين من مقامات الأنبياء يفضي إلى تسويته بهم أو تفضيله عليهم ، وأن الكل في قوله : " وفضله فاعتقد على الكل " شامل للصحابة ، إلى غير ذلك مما سقته نقلا عما نشرته النجاح . والمراد بالصريح المنافي لما فهموه قوله المكذب للإستنتاج الأول :

فما نشق المكتوم مدرك أنبيا = يذوب إذا منه بدا قدر ذرة

وقوله المكذب للإستنتاج الثاني :

فلا مطمع في نيل فضل صحابه = وإدراك ما نالوا لكل الخليقة

وأعمالنا معهم كما قال شيخنا = كطير قطة مع دبيب نميلة

16. قال ناظم منية المرید :

وفضلها يحصل مع شرطین = من ذاك إذن الشيخ دون مين

ثم اعتقاد أنها قد برزت = من حضرة الغيب لمن له سرت

قال شارحه في بغية المستفيد ما نصه : " والشرط الثاني اعتقاد المصلي أنها ليست من تأليف البشر " . اهـ . وقال أيضا بعد قليل ما نصه : " وبه تفهم ما وقع في تعبير الجامع ، هو تأليف لمولانا الشيخ سيدي محمد بن المشري أحد خلفاء الشيخ وخاصته ، من قوله : الشرط الثاني اعتقاد أنها من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسية ، وهذه العبارة هي الدائرة على السنة الأصحاب اليوم ، وعبارة الناظم التي شرحنا عليها هي الموافقة لعبارة جواهر المعاني ، ولذلك أثر التعبير بها على التعبير بغيرها وإن كان المثل واحد والله اعلم " اهـ . وبه تعلم صدق نقل الأستاذ النظيفي وأمانته .

أي خطر يخطر وأي ضرر يُنتظر = وأي نص يُعطّل بما زعمتم أنها إحدى الكبر

إذا اعتقدنا أنّ صلاة الفاتح ليست من كلام البشر = وأنّ البكري ألهمها على حدّ موافقات عمر

وإذا قلنا ببقاء وحي الإلهام دون التشريع وعمومه فبماذا تنكرون

فهل تلوّثم آية في الكتاب المجيد = أم هل روّيتم حديثا في صحيح الأسانيد

أم هل سمعتم قولاً لمن يُعْتَدُّ به في التقليد = أن الكلام الإلهي لا يسمعه
من دون الأنبياء من العبيد

فَوَحَى وَحْيٍ جَاءَ إِلَى أُمِّ مُوسَى إِنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ

ولئن تعلقتم من آية الأنعام 1 بسببٍ واه = وظننتم بها لدعواكم الإتجاه
فقد خالفكم الحق وحالفكم الإشتباه = ولو تأملتم لانتبهتم وأتى
للمُغرض انتباه

إذ محط الذم جملة الحال ودعوى المماثلة في الإنزال لو كنتم تعقلون
ولنا أن بلوغ الكلام القديم للبشر على ثلاثة أنحاء = بوحي أو من
وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء 2
ونجد في كتاب الله ثبوت ذلك لغير الأنبياء = فقد أوحى الله إلى أم
موسى 3 وأرسل رسولا للعدراء 4

وجاء في السنة أن الأمة فيها محدثون 5

وما التحديث إلا سماع الكلام القديم الذي أنكرتهم = وبه فسرت موافقة
الفاروق للتنزيل كما علمتم

فإن قلتم ما بلغ أم الكليم وأم المسيح كلام الله فقد أقررتم = وانتقض
حصر ذلك في الأنبياء كما زعمتم

وإن أصررتهم على الإنكار فأنتم مكابرون

وأيضاً فمن المعلوم أن الملائكة عليهم السلام = هم السفراء في تبليغ
الكلام القديم للأفهام

وأثبتت آية فصلت 6 تنزلهم بالبشارة على من استقام = وقرر
المفسرون انقطاع وحي التشريع وبقاء وحي الإلهام

وهاؤم اقرأوا كلامهم إن كنتم تمترون 7

إذ اثبت وقوع الوحي لغير الأنبياء لا تشريعا بل للتكريم8 = وأثبت الكتاب أن الوحي من طرق بلوغ الكلام القديم

وأخبر بوقوع هذا الجائز عدل كالإمام التجاني وقوبل بالتسليم = فلماذا يستند النافي وللمثبت التقديم

لقد جنناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون

وشرط اعتقاد ذلك في تحصيل فضلها لمن نوى = معقول للزوم تصديق الراوي في جملة ما روى

والراوي شملت فضلها ونسبتها للكلام القديم على السوا = لذلك كان الأخذ بأحدهما وإطراح الآخر تحكيم للهوى

ويستلزم تكذيب المأخوذ به إذ هو رواية مطعون

إن بقي لكم مطعن في هذا الموضوع باديا تحسبونه = في تشبيهها بالقرآن والحال أنها دونه9

فما لكم من حق في ذلك تعتمدونه = إذ ليس التشبيه تاما كما تظنونه

وما هو إلا في النسبة لا في الفضل والإعجاز فما لكم كيف تحكمون

وإن أشكل ما نقل من معادلتها بالقرآن فسئبئنه = بأن ذلك إنما هو في حق من لا يحسنه

بدليل أن الشيخ 10 شدد الوصية به على من يتقنه = وللتالي حال وآداب ورب قارئ والقرآن يلغنه

فلأمثال هؤلاء طريق صلاة الفاتح مأمون

هذا وأما نيل شيخنا رضي الله عنه أربعين من مقامات الأنبياء = فلا ينكره أو يكبره إلا من هوى في أسفل دركات الأغبياء

وصادم صريح " وأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء " = وغفل عن
براهين الجواز والوقوع الساطعة الضياء

ونسي أن عموم الأمة أوتوا ما لم يؤت المرسلون

فضلا عن كونهم ساووهم في بعض المقامات = فكانوا شهداء على
الأمم مثل الرسل في الميقات 11

وبأيها 12 خاطبهم ربهم مثل الرسل في قوله كُلُوا من الطيبات =
وثبتت الرفقة 13 والمعية 14 لأهل الطاعة والمحبة بالسنة والآيات

ونالوا من الخصائص الخمس 15 ما لم ينل موسى وهارون

فإن أنكرتم أصل نيل غير الأنبياء بعضا من مقاماتهم كذبتهم الشواهد =
وإن كان محط الإنكار عدد الأربعين فما له من قواعد

وإن ارتبتم صدق الخبر فإنه يثبت بعدل واحد = وإن زعمتم إفشاء
ذلك إلى التسوية بين المقامين فالزعم فاسد

وإن أصررتم على المعارضة فإنا عن اللغو معرضون

وأما مسألة نصب المنبر = والتنويه بشيخنا رضي الله عنه يوم
المحشر

والنداء بأنه الممدّ الأكبر = فما لها من منكر إلا من تسرع للمنكر

فأحث في وجوههم تاليا " أم يحسدون " 16

إن كان أصل المسألة عسر على أفهامهم = فليقرأوا إن شاءوا " يوم
ندعو كل أناس بإمامهم " 17

وجاءت السنة بنصب المنابر للمتقين تنويها بمقامهم = وإن كان ثبوت
ذلك للشيخ رضي الله عنه هو مثار قيامهم

فهو إمام 18 للمتقين 19 وإن رغم الجاحدون

ولقد أثبت الشيخ الأكبر سليل حاتم 20 = تلك المناقب الشم لمُحرز مقام
الخاتم

فلما نال شيخنا ذاك المقام غير مزاحم = كان مصداقا لتلك المواهب
والمراحم

أفعبتكم أن يؤتي الله عبده بعض فضله أم ماذا تنكرون

وإن كان الإنكار للمصطلحات من الإمداد والفيض = فإنه بين القوم أمر
مستفيض

ولهم فيه الكلام الطويل العريض = وهم الذين رفعوا قواعد قضاياهم
فما ثبت لها من نقيض

ونبحتهم شذاذ في مختلف العصور لم يفهموا ما يقولون

فماذا نقتم فيما سمعتم = وأي أصل من الدين يصادم ما أنكرتم

وبأي كتاب أم بأية سنة حكمتم = أم دور من قبلكم مع الغزالي أعدتم

حيث أفتوا بحرق الإحياء وجنتم على آثارهم تهرعون

ألا وإن من دون هؤلاء فريقا أضلوا السبيل = وزعموا أن الولي يقول
ما يخالف الشرع خطأ أو نحو من هذا القبيل

وأقاموا على ذلك من نفي العصمة أو هي دليل = أفهل يسري ذلك إلى
رواة الحديث وأئمة التأويل

فترفع الثقة بما يقولون وما ينقلون

ألم يدُر الغمر داعية الضلالة = أن العصمة لا تطلب في قبول المقالة

وإنما نصاب قبُولها التثبّت والعدالة = وأن الولي وإن لم يكن معصوما
فهو محفوظ لا محالة

وصرّح الفقهاء أن الأولياء لا تنقض الغيبوبة وضوءهم لأنهم محفوظون

على أنك تراهم سراعا إلى التخطئة إذا حكم نظرهم بأن الكلام غير مستقيم = وكم عائب قولا صحيحا وأفته الفهم السقيم

فإن تعلم ففوق كل ذي علم عليم = وإن لم تر الهلال فانزع إلى التسليم

ولا تنازع من هم له مبصرون

ربنا إنا نعوذ بك أن نعادي من واليت = أو أن نمسّ كرامة من أعلّيت

فلا تجعلنا اللهم ممن لهم أمليت = الساخرين بمن اصطفيت من عبادك وتولّيت

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا إليك راغبون

1. الإشارة لقوله تعالى : ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ، وهي التي ساقها ناقل اعتراض أهل فاس على الأستاذ النظيفي ، وإن في سوقها في الموضوع لدليلا ناصعا على جهل السائق أو تعمّده المغالطة ، لأن محطّ الذم جملة الحال وهي قوله : ولم يوح إليه شيء . فإذا أرادوا تطبيقا على مسألة الحال يلزمهم إثبات أن من جرّت على لسانه صلاة الفاتح لم يوح إليه بها ، ولا يثبت هذا النفي إلا بلزوم استحيل عقلي أو شرعي على ثبوت المنفي ، وقد علمت أن الشرع يظهر العقل على جواز وحي الإلهام ، بل ووقوعه وبقائه لغير الانبياء .

2. هو صريح قوله تعالى : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم

3. أوحى الله إليها بالأمر والنهي ، والوعد والتبشير ، في آية القصص وأوحينا إلى أم موسى الآية

4. ذكر خطاب الملك لمريم في سورتها وفي آل عمران بصيغة الجمع ، وفي الأولى صرح لها جبريل بقوله : كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا

5. في صحيح البخاري قال صلى الله عليه وسلم : « إنه كان فيمن قبلكم محدثون وإن يكونوا في أمي فعمر منهم ».

6. إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية

7. في الجزء السابع من تفسير الشهاب الألوسي رحمه الله ، صفحة 542 ، عند الكلام على تفسير قوله تعالى : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا الآية ، نقل عن الإمام الشعراني ما نصه بحروفه : " واعلم أن حديث الحق للخلق لا يزال أبدا ، غير أن من الناس من يفهمه حديثا كعمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن ورثه من الأولياء . ومنهم من لا يعرف ذلك ويقول ظهر لي كذا وكذا ، ولا يعرف أن ذلك من حديث الحق سبحانه معه . وكان شيخنا يقول كان عمر من أهل السماع المطلق الذين يحدثهم الله في كل شيء ، ولكن له ألقاب ، وهو أنه إن أجابوه به فهو حديث - أي إن وقع الجواب منهم عما ألقى إليهم في حال فنائهم عن أنفسهم وشهودهم حضرة الحق جلّ وعلا فهو حديث لا إتياء الغيبة - وإن أجابوه بهم فهي محادثة - أي إن أجابوا الخطاب الإلهي بلسان العبودية فهي محادثة بين العبد وربّه - وإن سمعوا حديثه سبحانه فليس بحديث في حقهم ، وإنما هو خطاب أو كلام " - اهـ . وهذا الثالث هو الذي ينطبق على صلاة الفاتح ، وقد رأيت أنه أطلق الكلام على هذا النوع ، وهو ما ليس له جواب به ولا بهم ، فما المانع من أن يكون من جرت على لسانه محدثا وسمعها حديثا من الحق سبحانه ، فكانت بتقرير الشيخ الشعراني كلاما للحق سبحانه وتعالى . وقال أيضا في آخر بسطة تلي ما نقلنا ما نصه " فالمنقطع إنما هو وحي التشريع لا غير " . ثم قال ما نصه بالحروف : " ومن الأولياء من يعطى الترجمة عن الله سبحانه في حال الإلقاء والوحي الخاص

بكل إنسان ، فيكون المترجم موجودا لصور الحروف اللفظية أو المرقومة ، ويكون روح تلك الصور كلام الله عزّ وجلّ لا غير . الخ ... " إنتهى المراد منه . وبه تعلمُ أن لا حرج في إطلاق كلام الله على غير القرآن ، والحديث القدسي ، والكتب المنزلة . نعم إن كلام الله المتعلق بأفعال المكلفين لا يأتي إلا على يد رسول ، وقد طوي يساطه حين التحاقه صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى .

8. سنلتزم في التعليق على هذا المحل قانون الحجاج فليقابلنا بمثله من أراد جدالنا بحق وإلا فليقصر ، فاتنا لا نستضيء بسوى البرهان . وإن المدعى الذي نسوق عليه الدليل يتألف من ثلاث شعب وإليها مفصلة تفصيلا :

أولا - مطلق الوحي الشامل التشريعي والإلهامي طريق من طرق بلوغ الكلام القديم إلى البشر . فمن أقرّ بذلك لم يكن لنا خصما ، ومن استشرف للدليل تلونا عليه آية الشورى فكانت للنزاع حسما وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ، وفي قوله فيوحي بإذنه ما يشاء وفي خلوّ قوله إلا وحيا عن القيد دليل قولنا " مطلق الوحي " .

ثانيا - بلوغ الكلام القديم بطريق الوحي الإلهامي لا يختص بالأنبياء . لنا أن نستظهر على هذا المدعى بقياس اقتراني من أعدل الأشكال صغراه (بلوغ الكلام القديم بطريق الوحي الإلهامي أثبتته الله لغير الأنبياء) ، ودليل هذه الصغرى آية القصص وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعها الآية . وكبراه (وكل ما أثبتته الله لغير نبيء لا يختص بالأنبياء) ، ودليل هذه الكبرى لزوم اجتماع النقيضين على تقدير صدق نقيضها - أعني قولك (بعض ما أثبتته الله لغير الأنبياء مختص بالأنبياء) - لأن معنى الإختصاص بفريق عدم ثبوته لغيرهم ، فتكون هذه القضية في قوة قولك بعض ما ثبت لغير الأنبياء لا يثبت لغير الأنبياء ، وهو تناقض ظاهر . فتمّ التقريب بسوق الدليل طبق المدعى ، وبرزت النتيجة ناطقة بقولنا (بلوغ الكلام القديم بطريق الوحي الإلهامي لا يختص بالأنبياء) .

ثالثا - الإخبار بكون صلاة الفاتح من الكلام القديم الذي بلغ للشيخ البكري بطريق الوحي الإلهامي مقبول شرعا ، دليلها قياس اقتراني مثل سابقه ، نظمه هكذا (هذا إخبار من عدل بجائز شرعي ، وكل ما كان كذلك فهو مقبول شرعا - النتيجة هذا إخبار مقبول شرعا) .
ولسنا في حاجة للإستدلال على الجواز الشرعي لما سبق من البرهان ، كما أن عدالة المخبر لا تسام باحتياجها إلى التبيان ، وقبول خبر الواحد لا يختلف فيه اثنان .

9. إذا قيل إنها من كلام الله القديم كالقرآن فليس المراد أنها مثله من جميع الوجوه ، بل في مجرد نسبتها للكلام القديم ، كما يقال الحديث القدسي مثل القرآن أي في مجرد نسبتها لكلامه تعالى ، فلا يلزم من هذا التمثيل أن يكون الحديث القدسي ثابتا بالتواتر معجزا ، ركنًا من أركان الصلاة الخ . وهذا بين لكل بصيرة لم يطمسها رمد التعصب ، إذ تشبيه الجواد بالبحر لا يستلزم أن يكون الجواد مالحا مغرقا ، وإنما التشبيه في خاصة من خواصه فقط ، وذلك سنن التشبيه

10. نقل عن الشيخ رضي الله عنه أن صلاة الفاتح تعدل ختمات من القرآن . قال بعض المعتدلين من نقلته (وهذا القول إن صحّ وجب تأويله) ، وحاص آخرون حيصة الحمر الوحشية بالصخب واللغظ ، واتخذوا ذلك ذريعة لما أرادوا . ولو خففوا من غلوائهم لاستبانوا الرشد عن كذب ، فإن كتب الشريعة مفعمة بالحاق يسير الأعمال بخطيرها إلحاقا للعجزة بالقادرين . وخذ لذلك مثلا تعديل الإخلاص بثلاث القرءان ، فإنها لمن لا يحسنه ، أما من جمع القرءان فهل يكفيه عنه تلاوة الاخلاص ثلاث مرات ؟ كلا ، إن ذلك مفض إلى الإستغناء عن التهجد به ليلا طويلا . وإنما تلك نفحات إلهية سرت من مهاب الفضل فألحقت المقلين بالمكثرين ، ومثالها مثال الغذاء الذي يصفه الطبيب للمريض ويقول له إنه يقوم مقام الخبز واللحم حيث لم تكن معدته صالحة لمثل ذلك الغذاء ولو استعمله لهلك ، بخلاف الصحيح فإنه لا يفتقر إلى بدل ، وكذلك الأعمال الصالحة إذا عجز الإنسان عن جلائها فقد فتح الله له من قلائها ما يلحقه بالسابقين . ومن كانت حالته منافية للتلاوة هو الذي يجد في صلاة الفاتح إن شاء الله ما

يلحقه بالتالين ، كما وجد الجالس في مصلاه بعد الصبح إلى طلوع الشمس ما يلحقه بالمعتمرين .

11. وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا سورة البقرة الآية 143 .

ملة أبيكم إبراهيم هو سماءكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس سورة الحج الآية 78 .

12. خاطبهم خطاب التكريم بلفظ " أيها " في قوله في خطاب الرسل : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات سورة المؤمنون آية 51 .

وفي خطاب المومنين : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم سورة البقرة آية 182 . وخطاب التكريم من أنبل المقامات .

13. ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا سورة النساء الآية 69 .

14. الإشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم لمن يسأل عن الساعة لما قال له : « ما أعددت لها من عمل إلا إني أحب الله ورسوله ، قال عليه الصلاة والسلام : انت مع من أحببت .»

15. الإشارة إلى الحديث الشهير « أُعْطِيَتْ خُمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ... » ، وأولها إحلال الغنائم . وهذه نلناها بالتبع له صلى الله عليه وسلم ولم ينلها قبلنا نبي .

16. الإشارة لقوله تعالى : أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله

17. مال بعض المفسرين إلى تخصيصه بالأنبياء ، وجمهورهم - كابن عطية وغيره - على العموم لما ثبت عندهم في ذلك من الآثار . قالوا أي ندعو كل أناس من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم ، وما عطف عليه بمن انتموا به من نبيء ، أو مقدم في الدين

، أو كتاب ، أو دين ، فيقال يا أتباع فلان ، يا أهل دين كذا ، أو كتاب كذا . وأخرج ابن مردويه عن عليّ كرم الله وجهه قال صلى الله عليه وسلم في الآية : « يدعى كل قوم بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم » . . اهـ . من تفسير الألويسي في الآية المذكورة .

18. وصف الإمامة يثبت النداء بمقتضى الآية .

19. وصف التقوى يثبت نصب المنبر حيث جاءت السُّنة بنصب المنابر للمتقين .

20. هو الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه ، سليل حاتم الطائي ، المعروف لدى الصوفية بالشيخ الأكبر ، وهو مؤلف رسالة عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب ، وصرح فيها أنّ مستقر الخاتم بفاس ، وكنيته أبو العباس ، وذكر عنه هذا التنويه والنداء والمنبر وغير ذلك ، ولم يثبت أحد الأولياء على دعوى الختمية سوى شيخنا رضي الله عنه . وقد بشرّ به سواه فانظر بغية المستفيد تجدها كما تريد .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم :

وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنّ الشيطان ينزغ بينهم إنّ الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ، صدق الله قوله ووعدّه ، وبفضله وقفنا عند ما حدّه لما نزغ الشيطان بيننا وبين إخوتنا من أبناء الملة ، وبُناة صفوفنا ، وجّاه القبلة الذين نقاسمهم الإيمان بالغيب ، والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله بلا ريب ، إذ أوجسوا خيفة علينا من المروق ، فراموا النصح ولكن قلبوه إلى عقوق ، وشرعوا نحونا أسنة الأقاليم حدادا ، واستمدوا من سواد الظلم مدادا ، وغضبوا غضبة يحتسبون فيها عظيم الأجر ، فاللهم ربنا علمت حسن نياتهم فكفر عنهم ما اكتسبوا بذلك من الوزر ، واشرح صدورهم للرشد ، ونقها

من الغلّ والحقد لمن لم ينقض إيمانا ، ولم ينكث أيمانا ، ولم يبسط لهم بالسوء لسانا ، ولم يُسمِّهم ظلما ولا عدوانا ، وما نقموا منهم إلا أن اختاروا للاقتداء إماما ، يعرفون نَسَبَهُ ودينه وصدقته وأمانته وفضله ، يأمر باتّباع الشرع ، ويحضّ على مكارم الأخلاق ، وينهى عما نهى الله عنه ، ويجمع الناس على ذكر ربّهم ويجعلهم من المتحابين فيه ، ويبشرهم ببشارات يتسع فضل الله لأضعافها ، ويحذرهم من نكث العهد ولبس حلة الأمان من مكر الله . نُشِر أمره في عاصمة من عواصم العلم والسلطان حيث الشرع قائم ، والحدود غير معطلة ، والناس على دينهم أشحّ ممّن نرى . فما كان من أولئك السابقين إلا الاعتراف بفضله ، والإعتراف من وبله ، وما كان من خلفهم إلا اقتفاء آثار ذلك السلف ، حتى لم يمض يوم إلا وأصحابه يزدون ولا ينقصون ، لم ينكث واحد منهم عهده سخطة لطريقه ، ولم ينتقصهم سوى شُذاذٍ بغير بيّنة من ربهم أوسعوهم طعنا بجهالة ، ورموهم بالإبتداع والضلالة ، وشتموهم بضعف العقول والنذالة ، وكل ذلك خارج عن حدود الآداب كما يعقله العالمون . ولو تناجوا بذلك أو تنادوا به فيما بينهم لكان لغتهم ضائع الصدى ، ولكنهم عمدوا إلى رجل عهدناه ذا منزلة بين المحررين والعلماء المتثبتين ، والمستمسكين بآداب وأهداب الدين ، فأغاظوه بما زوروه حتى غاب عنه الرأي الرشيد وأظلم عليه المنار وجاراهم فيما يافكون . هناك رأيت أنّ السكوت لم يعد من ذهب ، وأنّ حق النصيحة قد وجب ، فكاتبته الأستاذ السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة " المنار " الإسلامي بالمكتوب الموالي ، ولا رجاء لي فيه إلا إصلاح ذات البين بينه وبين من أساء إليهم ، وتناول من عرضهم بغير حجة تغني عنه يوم ينادى لا ظلم اليوم ، إذ هو ممن لا يستهان بنسبه وحسبه ، وهو خليق بأن يسمع دعوة الحق فيستجيب ، وما خطر لي أنّي سطررت ما سطررت بقصد الجدل لعلمي مثلهم أنّ فتح باب الجدل بهذا الأسلوب عقيم الإنتاج . أما الدفاع عن جانب شيخي سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه فأنا أحقر من أن أبرز لميدانه ، وهو أقرب ناصرا وأعز نفرا ، ومن آمن بقوله تعالى : إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، قال في هذا المقام حسبنا الله ونعم الوكيل

رسالة فتح الأبصار على مواقع عثار صاحب المنار

مكتوب لصاحب المنار

هذه نسخة مكتوب لصاحب المنار في الرد على ما جاء في خاتمة المجلد السادس والعشرين من هجاء الطريقة التجانية زادها الله نورا وانتشارا .

أرسل إليه في 9 ذي القعدة الحرام سنة 1344 .

بسم الله الرحمن الرحيم

أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .

أيها الأستاذ الرشيد لعا لعثرتك وغفرا لعجلتك . يعز عليّ أن أخاطب مثلك في نسبه ومنزلته وأدبه خطاب دالّ على طريق أنت أحببتها ، وطالما دعوت إليها ، واليوم أصبحت عنها من العادلين . فعلها غيرة دينية طفرت بك فأخرجتك عن حدّ اللياقة ، وأبرزت منك خلقا لم يكن معهودا .

ذلك بأنّي طالعت خاتمة المجلد السادس والعشرين من مناركم الذي عهدته روضة فوائد وحلة آداب ، فرأيت مصداق ذلك في صدر فتوى سؤال الزواوي حيث الحكمة المتدفقة ، والإعتدال الفاتن ، والظن الجميل . ولكن ما أسرع ما اقتحم (الرشيد) اللهب ، وتميّز " الرضا " من الغضب ، وتقلب المنار إلى شعلة نار ، وجرت بأنهاره الأقدار من الحدث الأزهري الذي جرد سيف العدوان على أهل الإيمان . فقلت سبحان الله سبحانه كيف ينسى العارف عرفانه ! ما كان عهدي بالمنار

يعلوه إجمال بدون بيان ، أو ادّعاء مجرد عن البرهان ، وما علمته يتسع صدره لما تنزه عنه القواميس اللغوية فضلا عن المجاميع العلمية من أقذاع لا مسلك له في الإقناع سوى شهادته على قاذفه بالخلو من الآداب . ألم يكن المنار يتأفف- كما هو خلق المسلم - من السباب والمهاترة ، ولا يجعل لها مدخلا في المناظرة ؟ أما كان ناهيا عن بسط الألسنة ، وداعيا بالحكمة والموعظة الحسنة ؟ ألم يُدكر المسلمين بدمهم ؟ ألم يُعرّفهم بحقوقهم على بعضهم ؟ فكيف قبل حديث هذا السبابة على إبهامه وهو الثبت في إبهامه ، والمصيب الغرض القصيّ بسهامه ؟ وكيف أباح نشر ما أملاه التحامل ضد رجل من بني أبيه ثبت شرفه نفسا ونسبا ، وشهد له بالفضل أهله شرقا ومغربا ؟ وكفى بالإسلام حاجزا بين المسلمين .

يعز عليّ أن أذكر الرشيد بما كان ينهى عن توخّيه ، ويأمر بتوقيه من تحكيم فطير الفهم ، واتباع الوهم ، والأخذ بالظنة ، وإيقاد نار الفتنة ، ولكنه مؤمن ، والمؤمن غر وبشر ، وقد كُتب على البشر الذهول .

لولا الذهول أيها الرشيد ما سمحت أن يلوث منارك بمثل قول مكاتبك إن فلانا " من أنذال القرن " الخ ، إذ ليس من مقومات الضلالة نسبة صاحبها إلى النذالة ، وليس هذا الوصف نافعا في الحجاج ، ولا شرطا للإنتاج ، فلم يبق إلا كونه بذاء ، والبذاء كما علمت شعبة من النفاق . أفلئس لولا الذهول ما نفق النفاق عند الرضا الرشيد ؟ .

إنّ الإمام التجاني - عليه من ربه حلل الرضاء سابعة الذبول - لم تقف له على ترجمة كافية ، ولعلك إن كانت لك معلومات عليه فإنها بين تلميذ يطريه وخصم يرميه ، فاطرحهما واستشهد التاريخ تجد في الإستقصاء ترجمته مختصرة من أجنبي عن طريقه ، أقرب من عدوه الأزهري زمانا ومكانا وصدقا . وقد أوردت لك نصه 1 في الحاشية لأن جعله في الصلب يضايقني في محادثة معك شهية ، وإن طريقته لم تنتشر بواسطة الملوك بل بواسطة العلماء ، فقد كان أول ناشر لها بيننا رأس الفتوى ، والإمام الأكبر بالجامع الأعظم ، وشيخ شيوخ القطر مولانا الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي ، محيز علماء المشرق والمغرب . وتداول سنده من بعده من شيوخ الفتوى والقضاء

بالمذهبين الحنفي والمالكي ما يزيد على الأربعين من آل بيرم ، وآل النيفر ، وآل الخوجه ، وآل الشاهد ، وآل الشريف ، وآل حسين ، وآل جعيط ، وسواهم جمهور عظيم من أئمة ومدرسين ، وأمراء ووزراء ، وسراة وفضلاء ، ومن لم يدخل زمرتهم لم يتوقف عن الاعتراف بالفضل لهذا الإمام ، والكل شحيح بدينه ، غير مخدوع في يقينه .

أفلا يصعب عليك ، وأنت تنتسب إلى الرؤوف الرحيم ذي الخلق العظيم ، أن ترمي قبل التثبت جمعا كهذا الجمع ؟ العلماء بالإبتداع ، والأمراء بالتأييد ، والمعاشرين بالمصانعة ، والدهماء بضعف العقول .

لست أسرد لك العلماء والملوك لأحملك على تقليدهم ، فما أنا بالذي يحتجّ بمثل هذا ، ولا أنت ممن يدعى بمثل ذلك ، ولكن لأحملك على الاعتدال ، فإنّ عدم المبالاة بالناس ثمرة الاعتداد بالنفس ، وتلك أمارة الغرور .

أيها الرشيد أين غابت عنك الحكمة التي عهدناها تاجا للمنار فغفلت عن نهي الله المؤمنين عن سبّ الأوثان حتى لا يسبّ عبّادها العزيز الحكيم ؟ وهو سبحانه لا يناله ضرر ذلك ، إن هو عائد إلا على السابّين ، فكيف ألقيت بعرض مثل عرضك ، ونسب عال كُنسبك ، بين أيدي آلاف يدفعهم الانتقام للتشقي بأوفى مما كنت لأستاذهم ، ويقولون لك في الظلم مرتبة البادي ، وأنت عن ذلك في غنى ؟ وكأني بك لا تقول بقول النخعي : " وما عليّ أن يأتوا وتؤجر " لأنّ خيرا منه قول الأعمش : " وما عليك أن يسلموا وتسلم " .

إني متشرف بالإستمساك بعهد هذا الإمام رضي الله عنه ، وليس بين يميني ويمينه إلا رجلا ، وأول وصية يلقاها من أراد الدخول في سلكه قوله المنقوش على قلب كل تجاني " ما بلغكم عني فزئوه بميزان الشرع ، فإن وافقه فهو قولي ، وإلا فهو مكذوب عني وأنا منه بريء " . أفمثل صاحب هذه الوصية يستباح عرضه بنقل مرسل أو نظرة حمقاء ؟

إني أظن بك أنك لم يبلغك هذا عنه ، وهو كافٍ لك في عصمة عرضه ، ووجوب الذود عن حماه ، حيث كان متبرئاً مما يخالف الشرع . نَعَمْ ، يمكن أن تكون مخالفاً له في بعض ما ثبت عنه ، لكن لا يغيب عنك أنها مسائل اجتهادية تتحملها الأدلة الشرعية ، فإن رأيت فيها خلاف رأيه فما ذلك بمحلل لك من عرضه شيئاً ، خصوصاً إذا لم يكن فيها بدعا من الصوفية ، إذ ما اجتهادك أولى بالصواب . كيف يخفى عليك تحامل الأزهرى حتى يستخدمك في أغراضه وشرر التحامل يتطير حتى يكاد يحرق حروف تلك الرسالة ؟ دع عنك هذيانه أولاً من نحو " مبتدع غرر بضعفاء العقول " ، وارجع البصيرة إلى المسألة التي استهلّ بها فأكبر وكفر وهي مسألة كفارة الفوائت ، فقد ابتدأها بزور - وهو نسبه ابتداعها للشيخ - والحال أنها قد ذكرت في الكتب قبل وجوده .

وقد وصفها على ذلك النمط صاحب الجواهر الخمس السيد محمد غوث الله من أتباع الطريقة القادرية . فلم يكن للإمام التجاني ابتداعها ، وغاية ما ينسب إليه اتباعها 2. ثم لما أفاض فيها القول برهن على تعصّب أضلّه عن الهدى وهو منه على كذب ، إذ فهم أنّ معنى التكفير إسقاط المطالبة بالفرض ، فقال إنه هدم للركن الباقي من أركان الدين . ويخجلني أن أدركك بأنّ الكفارة في لسان الشرع لا تسقط المطالبة بالفرض ، وإنما ترجى لتكفير ذنب الإخلال بالواجب ، أو الإقدام على الحرام . ومن كانت عليه فوائت فهو مطالب بالقضاء حتماً ، ومكتسب بالتأخير إنّما ، والركعات الموصوفات مرجوة لتكفير ذنب التأخير ، وكأني بك لا تعترف باستفتاح باب التوبة بصلاة واستغفار . فالشرع قد ندب النافلة أوقات الجواز بالندب العام ، وقد صلى كعب بن مالك رضي الله عنه عند نزول توبته ، وخبيب رضي الله عنه عند حلول منيته ، وما توقفا على تشريع خاص من الرسول .

أليس من شواهد تحامله فهمه أنّ تبيان الكفارة إغراء بارتكاب الذنب ؟ أفهل يجري مثل قوله عند بيان كفارة الفطر في رمضان ، فيقال إن تبيانها هدم لركن الدين ؟ ألم يبالغ في التحامل لولا ذهولك في قوله " يريد أن يقول " ؟ فهل سمعت أم هل سمحت بمثل هذا الحجاج ؟

يحكم على جمهور عظيم من الأمة حكما قاسيا بالزيغ والإلحاد لكونه فهم أن إمامهم يريد أن يقول ما يقتضي الضلالة !

إن كنت لا ترتضي بذلك فإنا أيضا عليه ناقدون .

قد علمت ، وأنت المثافن للإرشاد ربع قرن أو يزيد ، أن نفعه متوقف على الإخلاص فيه ، وما الإخلاص إلا إرادة النفع للضالين دون التشفي منهم ، وهذا لا يكون إلا بأخذهم بالرفق وجدالهم بالحسنى . أما مصادرهم من أول الأمر فهي إغراء على التمسك بما هم عليه ، وانقلابهم من الإستسلام الخطابي إلى العناد الجدلي ، وإذ ذاك يضيع للمرشد جهاده ، وينعكس عليه مراده . ليس المرشد حاكما يقف بين يديه المتهم بين مجرم وبرئ ، أو ليس من شرط إنصاف الحاكم أن يهتم بإظهار براءة البريء اهتمامه بتحقيق الجناية على المجرمين .

أليس من الحكمة ، إذا أراد المرشد هداية فرقة اجتمعت على ضلالة ، أن لا يبدئها بتسفيه الأحلام ، وهجر الكلام ، وإرهاق نفوسها ، بشتم رؤوسها حتى يدعوها وأئمتها إلى العدل ، ويجادل بالحسنى ويعتمد الحجج التي يصح الإستناد إليها ، لا مثل " يريد أن يقول " ، ولا مثل " هذا مخالف لآيات القرآن " ، مع عدم تشخيص المخالفة والآية التي تقتضيها ، ولا يجازف في تطبيق القانون ، فلا يحكم بالخطأ إذا كان المحل للتعسف ، ولا بالزيغ إذا أمكن الحكم بالخطأ ، ولا بالكفر إذا حق الحكم بالفسوق ، إذ هذه كلمات لا تحشر مع بعضها إلا عند الشاتمين ، أما المفتي فلا يسعه أن يجهل ما بين قوله مبتدع وبين قوله ملحد من الفروق ، إذ الأول من أهل القبلة له أحكام تخصه ، والثاني ليس منهم له غير تلك الأحكام .

فإذا قامت الحجة على تلك الفرقة وسلكت سبيل العناد أعطى فيها العالم الحكم مجردا ، وليس له أن يشتم خصمه بنحو أفواه الحمير ، لأنه إذا كان للخصم فم حمار فذلك لا ينقص من قيمة حجته ، ولا يزيد في جريمته .

1. في الجزء الرابع من تاريخ الإستقصاء في أخبار المغرب الأقصى ، أثناء سياق أخبار السلطان مولاي سليمان صفحة 138 ما نصه : " ولما اجتمع به - أي المولى سليمان بالشيخ التجاني رضي الله عنه - ورأى سمته ومشاركته في العلوم أقبل عليه واعتقده وأعطاه دارا معتبرة من دوره كان أنفق في عمارتها نحو من عشرين ألف مثقال ، ورتب له ما يكفيه . وأقبل الخلق عليه واشتهر أمره بفاس والمغرب ، وهو شيخ الطائفة التجانية رحمه الله ونفعنا به " . وقال في الجزء نفسه صفحة 150 : " وفي ليلة الإثنين الخامس عشر من شوال السنة المذكورة توفي الشيخ العالم العارف الإمام أبو العباس أحمد التجاني شيخ الطائفة التجانية ، وكانت وفاته بفاس المحروسة الخ " .

2. في الجزء الأول من الجواهر الخمس للسيد محمد غوث الله الهندي الشطاري ، وشارحه أحمد بن علي بن عبد القدوس الشناوي ، المترجم له في خلاصة الأثر ، المتوفى سنة 1028 ما نصه : " وفي رواية « من صلى يوم الجمعة قبل العصر أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وسورة الكوثر خمس عشر مرة فإذا فرغ استغفر الله عشرا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشر مرة كانت كفارة للصلاة الفائتة » . قال عثمان رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « كانت هذه الصلاة كفارة للصلاة الفائتة ولو مائة سنة » . وقال علي رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « كانت هذه الصلاة كفارة للصلاة الفائتة خمسمائة سنة » . وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « هذه الصلاة كفارة للصلاة الفائتة ألف سنة . من صلى هذه الصلاة ولا قضاء عليه إن كان في صلاة أبيه وأمه فوائت كانت كفارة » . اهـ .

إنّ هذا الأزهري لو لم يرتق منبرك ما كان أهلا للخطاب لأنّ الله علّمنا أن نُعرض عن اللغو ونقول سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين .

وما ظنَّ أنه يصلُّ به إلى النَّيلِ مِنْ مقامِ الإمامِ التجاني رضي الله عنه فهو فيه طائش السهم ، خائب الفأل . فقد علمت أن إخوان الإمام من الأولياء والعارفين ، وساداتهم من الصحابة والمرسلين لم تقصر عنهم الألسنة في مختلف الأزمنة ، ولهم في رسول الله إسوة حسنة ، فقد أودى صلى الله عليه وسلم ممن لا يبوء بشسع نعله ، وأجاب عنه المؤيد بروح القدس ، شاعره حسان رضي الله عنه بقوله :

أتهجوه و لست له بكفاء = فشرُّكما لخيركما الفداء

ولكن لا يسعني مع مثلك إلا أن أبسط لك بعض البسط فيما عمَّ عنك فيه وجه التأويل من الأقاويل عسى أن يصلح الله بينك وبين بني أبيك ، فما أنت إلا حسيني عثر في حسني ، وما القوم الذين ظننت بهم ما ظننت ، وعلقت عليهم ما علقت إلا مستقبلون للقبلة التي تستقبلها ، تالون لآيات التي تفسرها ، تابعون في عقائدهم للأشعري والماتريدي ، ومقلدون في عباداتهم ومعاملاتهم لأبي حنيفة أو مالك ، وليس لهم من نحلة ابتدعوها ، فلا تعجل عليهم وأرفق ، فالرفق شأن العلماء العاملين .

إن جميع ما أنكر من الأقوال التي تنسب للإمام التجاني رضي الله عنه لا تعدو واحد من ثلاثة أنواع : ما أسيء فهمه ، وما حرّف نصّه ، وما دُسّ من أصله .

فمما أسيء فهمه مسألة تكفير الفوائت ، وقد اسلفت لك ما يكشف سحابة الشبهة عنها . ومسألة الزيارة وقد نقلت لك في الحاشية القول الفصل فيها من أوثق كتاب لدى الأحباب 1. وما دخله التصريف حتى كاد يلحق بالتحريف نسبة صلاة الفاتح إلى الكلام القديم ، فإنّ نصّ العبارة المروية عن الشيخ رضي الله عنه فيها " إنها من حضرة الغيب " ، ولقد سأل بعض التلامذة أحد خلفائه أهي من كلام الله القديم فأعاد له عبارة الشيخ " إنها من حضرة الغيب " اهـ . ولكن بعض من نقلها تنقل فيها تنقلَ الفهم إلى المراد من قولك كثير الرماد ، فانتقل من

حضرة الغيب إلى الإلهام ، ومنه إلى الوحي الإلهامي ، ومنه إلى الكلام القديم ، وأنت خبير بأن للصوفية في الوحي الإلهامي كلاما غير مردود .

فمن يعتقد أنها تُسَمِّي القرآن منزلة أو أجرا ، أم من يقول أنها أعظم منه ذكرا ؟ معاذ الله أن نقول هجرا .

قد نقل الصاوي في شرحه لصيغ الصلوات عند الكلام على صلاة الفاتح ما نصه : " وعن بعض سادات المغرب - يعني الشيخ التجاني رضي الله عنه - أنها تعدل ست ختمات من القرآن . وهذا القول - إن صحَّ - يجب تأويله " . اهـ .

ألم تكن أيها الرشيد العزيز أحق بهذه النزاهة وأهلها ؟ حاشا أن يسرَّك خروج الإمام التجاني والتجانيين عن السنَّة ، وحاشا أن ترضى بالحكم عليهم بذلك وأنت تجدُ لبراءتهم سبيلا .

فإذا أمكن فهمُ كونها من حضرة الغيب أن من جرَّت على لسانه ألهمها إلهاماً كما بيَّنا ، وأمکن تصور تعديلها بالقرآن في الأجر بالنسبة لمن عجز عن التلاوة لعدم إمكان الحفظ أو لمنافاة الحال للتلاوة على حدِّ معادلة الإخلاص لثلث القرآن ، ومعادلة التسبيح والتحميد والتكبير دبر الصلوات لما يأتيه الموسرون من أفعال البرِّ ويعجز عنها الفقراء ، ومعادلة من يجلس في مصلاه بعد الصبح إلى طلوع الشمس لعمرتين كاملتين .

ثم ترجح هذا التأويل بأن الشيخ رضي الله عنه شدّد الوصية بالقرآن على من يتقنه حتى قال من لم يقرأ حزبين من القرآن على الأقل كل ليلة كان من الذين اتخذوا القرآن مهجورا . إذا أمكن التأويل بما قررنا ، وترجح بما نقلنا ، ففيم اللجاج وركوب الإعوجاج شهوة في فُتق بين المسلمين لا يُرتق حتى تستباح الأعراض ، وتستبدل الموالات بالإعراض ، وغير ذلك أولى بالمؤمنين ؟

أوليس من بادئ التأويل ما أكبره الكاتب من تجلي الذات الأقدس في الحضرة النبويّة ؟ أفيجهل مسلم أن الظاهر محال ، أو يخفى على ذي

نور من العقل - وإن كان ضئيلا - أن العبارة من باب تجلي الصانع في أكمل مصنوعاته ، والكاتب في أبداع تحريراته .

وأما مسألة رؤيته عليه الصلاة والسلام يقظة فأنت خبير بأنها من قبيل الجائز العقلي ، المؤيد وقوعه بظاهر النقل . فإنك لا تجهل حديث الصحيحين : « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي » . فإن كنت تصرفه عن ظاهره ابتغاء تأويله فجمهور عظيم سواك مستمسك بظاهر الرواية ، يقول قول ابن أبي جمرة في تعليقه عليه " اللفظ يعطي العموم ومدعي الخصوص بغير مخصص منه صلى الله عليه وسلم متعسف " .

على أن الكل مجمعون على أنه صلى الله عليه وسلم لا يُلقى لرائيه ما يخالف الأحكام الظاهرة التي استقرت عليها الشريعة الطاهرة ، أما نقل فضائل الأعمال ومقامات الرجال فما به من بأس ولا التباس ، وغاية ما فيه إذا تقبل الخبر قوم ولم يسكن إليه آخرون أن يقول الآخذون به للمسكين عنه قول الشاعر للمنجم والطبيب - والخطاب لغيركم -

إن صحَّ قولكما فليست بخاسر = أو صحَّ قولي فالخاسر عليكما

وأما مسألة التنويه بشيخنا رضي الله عنه يوم القيامة فإنها فرع مسألة ختم الولاية التي ترجع إلى عهد الترمذي الذي روى فيه أحاديث كانت موضوع ردّ وقبول ، وعموم الصوفية مؤمن بها ، وصرح بعضهم بالوصول إلى ذلك المقام ثم لم يلبثوا حتى عُرف عنهم الرجوع ، وأشهرهم الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدس سرّه ، فقد صرح في الفتوحات بنيلها ، ثم تبين له خلاف ذلك ، فألف رسالته عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب ، وعين مستقره بفاس ، وصرح بكنيته أبي العباس ، وأنه مكتوم الإسم ، ودكر عنه هذا التنويه في القيامة . فلما أخبر إمامنا أبو العباس أحمد التجاني رضي الله عنه ببلوغه ذلك المقام كان مصدقا لهذا الكلام ، فإن آمن بذلك أحد فإنه لم

يصادم آية قرآنية ولا سنة نبوية ، إذ ليس فيهما نفي للمسألة ولا تكذيب لمدّعيها ، وإن توقف في ذلك متوقف فما عليه إلا بخويصة نفسه .

أما الرد بمثل قذارة ذلك الكاتب الذي يُعَيَّر بالأعراض البشرية والطريق التي مر منها الرسل الكرام فهو خروج عن سنن الآداب في الكلام ، وحسبنا ما أدبنا الله به في قوله : كانا يأكلان الطعام . وهل يلتزم هذا الكاتب عجزفته في قوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » ؟ وحسبي من تهافتة استكباره ما يأتي من خزائن الفضل وتشبيه ذلك بأعظم ميزانية في العالم ، فكأنها كلمة يريد أن يُضحك بها القراء ، وأنت خبير بمن يلقي الكلمة ليضحك بها الجلساء ، ولولا ذلك القصد ما كان لِيذكر الميزان من محل ، والله يقول : فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ، وقال : من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ، وهذه الكثرة لا يعادلها ميزان . إذا تذكّرت قوله صلى الله عليه وسلم : « يعطي العامل منهم أجر خمسين منكم فقالوا : منهم فقال : بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا » .

إذا تذكّرت هذا الحديث الذي وعد العامل ممن يأتي في آخر الزمان ويدرك الفتن أجر خمسين ممن يسمع الخطاب النبوي ، وأنت تدري من هم ، لم تستنكر نيل المقصرين ثواب الكاملين ، أو على الأقل لا تكفر من يقول بذلك .

ليس من قصدي الحجاج والإستدلال لأن شرط ذلك - كما لا يخفي عليك - عدم إباحاش أحد المتناظرين قرنه ، وأن تجتمع عزيماهما على إظهار الحق بقطع النظر عن بيده يكون .

وما رأيته في المنار لم يستوف تلك الشروط ، غير أنني عهدت منك الإنصاف والنزاهة على المكابرة ، وظننت أنك اعتمدت مغرضا مجازفا حسنت به ظنك فنالك ما يندر من الجواد ، فأردت أن أبين لك بما بسطت أن إمامنا رضي الله عنه ليس كما ذكر لك ، وأن الأمر أيسر مما أزعجك ، وأن أتباع هذه الطريقة الشهيرة على بيئة من ربهم

وبصيرة ، وأن الرسالة المحررة شرارة لهب يتقد منذ حَوْلٍ أو يزيد بالمغرب بين الشيخ النظيفي وخصوم له طمعوا في مجلتك الواسعة السمعة فسجروها ، واستخدموا الأزهري وقادا . وما عَلِمْنَا منار المسلمين خادما إلا للعلم والآداب ، لا يتشح بمثل تلك المعارف المحشوة في هاتيك الفقرات ، وحسبك من شرِّ سماعه فكيف يرضي بنشره الرضا .

أذكر غيرتك على الأستاذ الإمام لو تعرّضَ له بمثل ذلك ذامّ ، واعلم أن القوم مثلك على أستاذهم يغارون ، وجوابك في هذا المقام هو جوابهم والأمر مشترك الإلزام . وإنّ في سوق البرهان ناصعاً ، وإبراز الحق لامعاً ، لفلجاً أقوم من فلج السبّاب وأقوى ، وأقرب للتقوى ، فاسلك سبيله إن شئت ، ففينا إن شاء الله لك مساجلون بعد أن نرى المنار اكتسي فضيلة الرجوع إلى الحق ، واستقام على سبيل الاعتدال ، بما يمحوا الاحن من الصدور .

أما الهجاء والفحش فليس عندنا ما ننفق منه ، وإنا فيه لمغلوبون وإن بدأنا به الجاهلون ، فاتقوا الله في إخوانكم لعكم ترحمون . تمت بمعونة الله سبحانه الرسالة ، أثاب الله محررها وبلغه آماله .

1. قال في بغية المستفيد ج 3 ص 127 ، طبعة تونس ما نصه : " الزيارة في اللغة القصد إلى المزور في محله ، وهي في الإصطلاح قصد المزور إكراما له وتأنيسا ، ومنه زيارة الإخوان بعضهم بعضا . وقد تقدم بعض ما يتعلق بها في المقدمة ، وسيأتي بعض ذلك أيضا قريبا إن شاء الله تعالى . ومنها زيارة القبور مطلقا ، وهي مرغّب فيها لما فيها من صلاح القلب بشرط الإشتغال بالاعتبار والتأمل والتفكر في أحوال الآخرة ، والسلامة من الوقوع فيما يخالف الشريعة الطاهرة ، والكلام فيها مبسوط في كتب الفقه ، وليس القول فيها ولا فيما قبلها من غرضنا في هذا المحل وإنما كلامنا هنا في زيارة الأولياء ، أعني

الأكابر الذين يعتقد فيهم ويتعلق بهم ، وحقيقتها قصد الولي للانتفاع به ، والإستمداد منه ، وهذه هي التي منع منها المرید في بساط التربية الكاملة الخ .

دعاء ختم

سبحانك اللهم وبحمدك يا ذا الصفات العلية ، يا من تفرّد باسم الجلالة يا الله ، يا من تقدّس في علوه عن الأين والكيفية ، يا قيوم العوالم يا غنياً عما سواه ، يا من تعرف بالإحسان لسائر البرية ، يا من يجيب المضطر إذا دعاه ، نسألك بنور وجهك الذي أضاء العوالم السفلية والعلوية ، وبأنوار الكتاب الذي عمّ هداه وبما أودعته في الآيات القرآنية ، وباسمك الأعظم والسر الذي حواه ، يا من أرسلت محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة عمومية ، نتوسل بجاهه إليك إذ هو عندك عظيم الجاه ، أن تصلي عليه وعلى عترته الطاهرة الزكية ، وأصحابه الذين صدقوا ما عاهدوا عليه الله ، وتبسط علينا ستراً جميلاً يوارى عيوبنا الخفية والجلية ، وتذيقنا حلوة المغفرة وبرّ العفو عما جنيناه ، وتجلّلنا ببرود العافية في الدين والنفس والذرية ، وتمحوا عنا بفضل منك كل جرم أصبناه ، وتركّى نفوسنا حتى ترجع إليك راضية مرضية ، وتلهمنا شكر نعمائك وترزقنا الإنتباه ، وتقيّننا بحفظك من كل شرّ وأذية وقاية من قال : وأفوض أمري إلى الله ، وتجمع قلوبنا على المقاصد الخيرية ، وتوفّقنا لما تحبه وترضاه ، وتردّ ألفة هذه الأمة المحمدية ، وتأخذ بيدها في مرتقى العزّ إلى أعلى ذراه ، وترسل لها من رياح النصر ما يحقق الأمنية ، ويعصف بمن نوى الشر للإسلام وناواه . ربّنا ربنا تداركنا بأطافك الخفية ، وارحمنا فأولى من يرحم العبد مولاه . اللهم صلّ وسلّم على عين الرحمة الربانية ، وعلى آله صلاة تُعرّفنا بها إياه .